

أطفالنا في ظل التربية الإسلامية

الحلقة ١

الطفل بقدر ما

هو محبوب ومطلوب

فهو مهم جداً وخطير، لأنه من أهم وأخطر المراحل الاجتماعية في بناء الفرد والمجتمع البناء السليم القويم. فإنّ الإنسان يولد صفحة ناصعة البياض، مصقولة التركيب، محايدة التشكيلة، لا تشوبه شائبة. فهو بهذا يكون قابلاً للتشكّل والانتماء واكتساب ألوان المعارف والسلوك والممارسات، قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم ((اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم))، وقال رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، لما سئل: ما حقّ ابني هذا؟ ((تحسن اسمه وأدبه، وضعه موضعاً حسناً))، وقال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): ((... وإنيها قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقى فيها من شيء قبلته))، وقال الإمام أبو عبد الله، جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): ((الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلم الكتاب سبع سنين، ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين))، وقد قيل: ليس الجمال بأثواب تزنيته

إنّ الجمال لجبال الخلق والأدب إن مرحلة الطفولة هي التي تعطي صورة شخصية الإنسان، وتشكيل ملامحه الخلقية والخلقية، وقد حرصت الشريعة الإسلامية الحقّة على تربية الطفل، واهتمت ببناء شخصيته بناء سليماً محصّنة إياه عن أشكال الانحراف وأنواع العقد السلوكية، وشتّى الأمراض النفسية الخطرة والعادات السيئة القبيحة.

وعلى أساس مبادئها الإنسانية وقيمها الصالحة، فإنّ بناء شخصية الطفل في الإسلام ماهو في الحقيقة إلى عملية بناء المجتمع الإسلامي، وتمهيد لإقامة الحياة والدولة والقانون والحضارة، وفقاً للمبادئ الإسلامية المباركة، تحقيقاً لسعادة الإنسان، وتحصيناً لمقومات المجتمع، وحفظاً لسلامة البشرية وخيرها.

وإنّ نجاح الأهداف الإسلامية وسعادة الفرد و سلامة المجتمع، تتوقف على سلامة عملية التربية، ممّا يدعونا لأن نكرّس جانباً كبيراً من جهودنا وممارساتنا واهتماماتنا لتربية الطفل وإعداده إعداداً سليماً، ليكون فرداً صالحاً وعضواً نافعاً في المجتمع الإسلامي، وليكون له دور بناء وفعال في الحياة، ويكون

مهياً للعيش

السليم في كنف الإسلام العظيم، منسجماً في واقعه ونزعاته الذاتية مع القانون الإسلامي، ونظم الحياة الإسلامية السائدة في مجتمع الإيمان بالله عزّوجلّ.

مفهوم التربية:

لقد عرّف اللغويون وأصحاب المعاجم لفظة التربية بأنّها:

(الربّ في الأصل: التربية، وهي إنشاء الشيء حالاً فحالا إلى حدّ التمام، يقال: ربّه ورباه وربّيه) .
(ربّ الولد ربّاً: وليه وتعهده بما يغذيه وينمّيه ويؤدّبه ...) .

لذا، يمكننا أن نقول إن التربية الإسلامية هي: عملية بناء الإنسان وتوجيهه، لتكوين شخصيته، طبقاً لمنهج الإسلام الحنيف وأهدافه في الحياة. فالتربية إذن تعني تنشئة الشخصية وتنميتها حتى تكتمل وتتخذ صفتها المميزة لها.

أهمية التربية الإسلامية:

من المسلم به أن الإنسان يولد صفحة بيضاء، غير مطبوع عليه أي شيء من ملامح أي اتجاه أو سلوك أو تشكيلة؛ إلا أنه يحمل الاستعداد التام لتلقّي مختلف العلوم والمعارف، وتكوين الشخصية، والانخراط ضمن خطّ سلوكي معين.

لذا، فإن القرآن الكريم يخاطب الإنسان ويذكره بهذه الحقيقة الثابتة، وبنعمة الاستعداد والاكتمال والتعلم، التي أودعها الله في: لكسب العلم والمعرفة، والاسترشاد بالهداية الإلهية.

قال عزّوجلّ: ((والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون))، وأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يترجم هذا الخطاب الإلهي العلمي السامي بقوله: ((... وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقى فيها من شيء قبلته)) .

وقد شرح العلامة الحلي رضوان الله تعالى عليه مراحل تكوّن المعرفة لدى الطفل، فقال: (أعلم أنّ الله خلق النفس الإنسانية في بداية

فطرتها، خالية من جميع العلوم بالضرورة، قابلة لها بالضرورة، وذلك مشاهد في حال الأطفال. ثمّ إنّ الله تعالى خلق للنفس آلات بها يحصل الإدراك، وهي القوى الحساسة، فيحسّ الطفل في أوّل ولادته لمس ما يدركه من الملموسات، ويميّز بواسطة الإدراك البصري على سبيل التدرّج بين أبويه وغيرهما) .

ثمّ إنّ هذا الطفل يزداد فطنة وذكاء، فينتقل من إحساسه بالأمر الجزئية إلى معرفة الأمور الكلية، مثل التوافق والتباين والأنداد والأضداد، فيعقل الأمور الكلية الضرورية بواسطة إدراك المحسوسات الجزئية.

لذا، يتعيّن في ظلّ التعاليم الإسلامية على الأبوين التكليف في إعداد الطفل وتربيته وتعليمه منذ نشأته الأولى.

